ترسيخ المفاهيم الوطنية لدى الحركة الإصلاحية الجزائرية خلال القرن العشرين.

د.حميدي ابو بكر جامعة مسيلة

الملخص

نظرا لقلة الإنتاج العلمي الذي يهتم بالتاريخ الوطني في القرن العشرين بحكم الظاهرة الاستعمارية التي انتابت العالم العربي عامة ، والتي كرست الأمية من جهة ، والدور الذي لعبته النخب السياسية والفكرية الاستعمارية في توجيه الدراسات التاريخية والاجتماعية للجزائر بهدف الهيمنة ، وكانت النتيجة التشكيك في هوية المجتمع والمنطقة من خلال الإنتاج العلمي أو الكتابات التاريخية الصادرة عنهم.

ومن جملة النتائج المترتبة عن هذا الوضع أن معظم الدراسات والكتابات سادها شيء من الغبش وسوء المفاهيم حول كثير من القضايا الحساسة التي تمس الشعب الجزائري ، وفي مقدمتها البعد الوطني ، ومدى تمسك وانتماء الجزائري بالمواطنة الجزائرية عبر مراحل تاريخية معينة من خلال الممارسة والتفكير والمواقف وتطور الأحداث . ومن خلال هذا العمل المتواضع أردت طرح جملة من الأفكار والآراء التاريخية حول تكوين المواطنة الجزائرية من خلال صيرورة الأحداث ورؤية بعض النخب الجزائرية التي تؤسس لحقائق ومفاهيم تدحض الرؤية الاستعمارية.

مقدمة:

بحكم هيمنة المشهد العسكري للمقاومات بالجزائر خلال القرن التاسع عشر فقد أُهملت الكثير من الكتابات التي تهتم بالمفاهيم الوطنية ، وأبعادها وذكْر الشخصيات العلمية التي كتبت حولها.[1] مع أنه ظهرت خلال القرن التاسع عشر أقلام ناقشت وتطرقت للبعد الوطني في كتاباتها أمثال حمدان خوجة وابن العنابي ، ومنذ مطلع القرن العشرين أخذ الاهتمام بهذا الجانب مجالا واسعا وجهد كبيرا على أيدي النخبة الجزائرية ، التي تعاطت مع الموضوع من جوانبه المختلفة ، وكان التيار الإصلاحي حاضرا بقوة في هذه المعركة الفكرية بمفاهيمها المتعددة ، وكانت مواقف الاستفزاز الاستعماري عاملا على إذكاء المفهوم الوطني بين المجتمع وتحديدا النخب المثقفة . وتعامل التيار الإصلاحي مع مفهوم الوطنية من زوايا متعددة:

- البعد المفاهيمي التاريخي الجغرافي .
- طرح المقومات التي تقوم عليها الوطنية الجزائرية ضمن السجال الفكري.
- تغذية العملية التعليمية بالمفاهيم الوطنية وتنمية الشعور بها .

ولذلك هناك من اهتم بإحياء التراث وكنوزه خدمة لهذا الاتجاه ، ومنذ الثلاثينات من القرن العشرين ظهرت الكتابات التي تهتم بالتاريخ الوطني الموحد والمتكامل عبر التاريخ [2]. كرد فعل على السلوك الاستعماري لطمس الهوية الوطنية . وعزز التيار الإصلاحي هذا الجهد بحركية تعليمية واسعة حمَلَت الكثير من المضامين التي تكرس الوطنية الجزائرية في الأهداف والمحتوى .

وإذا كانت الحركة الإصلاحية تناولت هذا الموضوع بأبعاد متنوعة وجوانب مختلفة وأخذ مصطلحات متعددة تكاملت أحيانا أو وتوسعت وضاقت أخرى مثل : الوطنية ، الجنسية الجزائرية ، القومية الجزائرية ، الأمة الجزائرية ، القطر الجزائري .....فإن هذه المفاهيم والمصطلحات وُظفَت بحسب الظرف والحاجة إليه ولكنها كانت كلها توظف لخدمة بناء الوطنية الجزائرية شعورا وممارسة .

وبالنظر إلى هذا الزخم المفاهيمي والاصطلاحي للوطنية الجزائرية لدى الحركة الإصلاحية الجزائرية . هل كان لديها تمييز مفاهيمي له دلالاته لكل مصطلح ؟ أم أنها تأخذ طابع التعميم في الانتماء للقطر الجزائري لا أكثر ؟ وما هي الوسائل التي وظفتها لتمكين هذا الشعور بين فئات المجتمع الجزائري؟ وهل كانت الأحداث التاريخية ومحطات الاستفزاز الاستعماري والصدام معه عنصرا في إثارة البعد الوطني وما يرتبط به ردود أفعال على التجنس والإدماج ..؟ وهل كان هناك تصور واضح ومتقارب بين رموز التيار الإصلاحي حول هذا الموضوع ؟

➢ بناء الشعور بالوطنية والتحديات القائمة

إن الشعور بالوطنية يكتسب نتيجة تضافر عدة عوامل وتراكم تاريخي لجملة من القيم ، لأن الإنسان قد يقيم في بلد معين معظم حياته ولكنه لا يشعر أنه ينتمي إليه بقدر ما هو يقيم فيه لا أكثر، ولهذا فالتشبع بالمواطنة كقناعات فكرية والإحساس بموجبات المواطنة كالوفاء المستمر للوطن والتعلق به والدفاع عن الوطن لا يأتي إلا بعد تراكم تاريخي يحيط به جملة من العوامل كالتجذر والأصالة في البلد والمذهب العقدي والفكري والاشتراك في تاريخ ومصير البلد. فالانتماء للوطن إذن هو بناء تراكمي سوسيولوجي ثقافي وفكري وواقعي يتعلق به القاطن بالبلد وتهون أمامه كل التضحيات ، وإذا ما غابت هذه المفاهيم فإن الشعور بالوطنية تعتبر شعورا عابرا أو مؤقتا تشوبه المصالح الآنية .

وانطلاقا من هذه الرؤية فقد أدركت الحركة الإصلاحية أن تحقيق هدف الانتماء للوطن وتبني همومه قناعة وسلوكا يتطلب مرحل عدة والعمل على جبهات متعددة والتكيف مع الظروف المختلفة منها: كيفية التعامل مع ظاهرة الجهل الواسع الانتشار وتقريب الفهم الوطني إلى أذهان شريحة واسعة ، كيفية التعامل والرد على النخب التي تتنكر للوطنية الجزائرية ، كيفية التوفيق بين تنمية الشعور الوطني وتحاشي الصدام مع الاستعمار . كل هذه الظروف كانت إرهاصات في طريق الحركة الإصلاحية الجزائرية .

➢ الإصلاحيون والوطنية الجزائرية

ففي الوقت الذي كان الكلام فيه عن الوطنية الجزائرية هو نوع من الإساءة والمعاداة لفرنسا وكان بعض ممثلي النخبة يفتخرون بالانتماء الفرنسي. في ظل هذه الظروف لم يكن الإصلاحيون يخشون الجهر بانتمائهم وجنسيتهم الجزائرية ومعارضة الإدماج، وطيلة العمل الإصلاحي كان التأكيد على الخصوصية الوطنية بمميزاتها وأبعادها الجغرافية والثقافية والدينية [3]، وحتى العمل الجمعوي أو السياسي كان ينطلق تحت هذه الراية الوطنية وكل الجهود تصب في تكريس الشخصية الوطنية ومحاربة مظاهر الفرنسة السياسية والثقافية.

وقد كان أول شعار لجريدة المنتقد " الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء " [4] ، وكانت الوسيلة لبعث ثقافة الوطنية هو تكريس المصطلحات الدالة على الانتماء لهذا الوطن في مختلف المحطات والمناسبات ، وتجلى ذلك في أول مقال للمنتقد تحت عنوان **مبدؤنا السياسي** " نحن قوم مسلمون **جزائريون** في نطاق المستعمرات الجمهورية الفرنسية " [5] . وفي مقام آخر " ولأننا **جزائريون** نعمل للم شمل **الأمة الجزائرية** وإحياء روح **القومية** في أبنائنا وترغيبهم في العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة والانتفاع في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية "[6] .

وكما أشرت سابقا فالمصطلحات المختلفة وإن اختلفت في الدلالة اللغوية والسياسية فإن الحركة الإصلاحية منذ البداية وظفت الكثير منها بما يشير إلى وجود وطن أو أمة أو قومية أو تكريس كلمة الجزائرية حتى تُثبَت مفهوم الكيان الجزائري في ذهنيات النخب الجزائرية وعامة المجتمع ويترجم بالشعور واللسان والكتابة والمراسلة . وتصحح المفاهيم الاستعمارية التي بثتها في المدارس الفرنسية أو التعاملات اليومية .

وكان أكبر مبدأ تدافع عنه المنتقد هو الصحافة الحرة الصادقة التي لاغنى عنها لأمة راقية ، ولا رقي لأمة ناهضة في هذا العصر بدونها . لأنها تصنع التواصل مع شرائح واسعة وتهذب الأفكار وتنبه الأذهان إلى ذواتها ومقوماتها . وأضافت المنتقد في نهاية المقال الذي جاء باسم " النخبة " " ونحن بين الجميع لا نخدم إلا الحق والوطن والدين ولا نسمع إلا لصوت الواجب ...قائمين حسب الجهد بالواجب الصحافي الشريف صامدين إلى غايتنا السامية وهي : سعادة الأمة الجزائرية ...."[7]

ومثلما كانت الصحافة فضاء للمقالات السياسية كان للنص الشعري مقامه المعتبر بين جمهوره للتعبير عن الوطنية بصورها المختلفة ، فكتب الأديب السيد الهادي السنوسي الزاهري قصيدة تحت عنوان : واجبنا نحو الوطن نقتطف منها :

ألا حيوا الجزائر وانشدوها *** أناشيد الرجال المخلصينا

وخروا ساجدين لها احتراما *** إذا ما جيتموها قاصدينا

وهزوا تربتها وتنسموه *** فإن به أزلج اليـاسمينا [8]

ونشر ابن باديس مقالا بمجلة الشهاب سنة 1937 جاء فيه " لقد جهرنا بها " ـ أي الوطنية ـ " أيام كانت كلمة الوطن والوطنية كلمة إجرامية لا يستطيع أحد أن ينطق بها وقليل جدا من يشعر بمعناها " [9] .

➢ العلاقة بين الوطنية والجنسية القومية السياسية

فالملاحظ أن التوجه الإصلاحي ظل في هذه القضية يميز بين الجنسية القومية والجنسية السياسية رغم التطور الزمني والتطور الداخلي للتنظيم الإصلاحي. فنقف على هذا الأمر في أول عدد من المنتقد ، وتبنت جمعية العلماء نفس الأمر في 1931 ، أي التأكيد على الجنسية القومية في ظل السيادة والقوانين الفرنسية ، وإن كان هذا الأمر الأخير فيه شيء من المناورة السياسية . أو ما عبر عنه ابن باديس في التمييز بين بالجنسية القومية ـ (مجموع الصفات الاجتماعية والثقافية الخاصة

بمجموعة بشرية) - والجنسية السياسية (الوضع المدني السياسي والحقوق والواجبات) .

وانطلق ابن باديس من فكرة مفادها أن الشعوب لها مقوماتها ومميزاتها المختلفة ، وبالتالي فإن الجنسية القومية لكل شعب كامنة في تلك المقومات والمميزات الخاصة به مثل " اللغة التي يعرب بها ويتأدب بآدابها، والعقيدة التي يبني حياته على أساسها، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات " [10]

أما الجنسية السياسية فهي حقوق مدنية وسياسية واجتماعية لشعب ما مقابل واجبات يؤديها وقد يشترك فيها مع شعب آخر لظروف ومصالح ربطت ما بينهما. " ويؤكد أن فنحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية وقد دلت تجارب الزمان والأصوال على أننا من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية وإننا ما زدنا على الزمان إلا قوة " [11]

والمتتبع للأمر يدرك أن ابن باديس حرص على الشخصية الجزائرية العربية المسلمة وضرورة الاعتراف بخصوصيتها أما الجنسية السياسية فهي نوع من البطاقة الظاهرية في ظروف معينة .

كان التيار الإصلاحي يرى أن المشروع الوطني الجزائري يتناقض والتجنس الذي تحاول الإدارة الفرنسية تنفيذه وفق ما يخدمها [12]، لأن التجنس هو التخلي عن مقومات الشخصية الجزائرية والتخلي عن الهوية الوطنية وما تحمله من مرتكزات . ومن الذين ثاروا على قضية التجنس والاندماج عمر بن قدور الذي رفض ربط الجزائر " بالعائلة الفرنسوية " وأن " .. . اندماج المسلمين بالعائلة الفرنسوية خطر محض ، وبوار لقومية عنصر شريف ينتمي إلى أمة عظيمة ويتمسك بأهداب ملة تأبى عليه المروق منها "[13].

وقد وصل الأمر إلى حد تكفير الجزائريين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية من قبل بن قدور على أساس أن ذلك يعني تخليهم عن الأحكام الشرعية . وذهب عمر راسم في نفس الاتجاه بأن التجنس سهم من السهام الفرنسية لضرب المقومات الجزائرية مستهدفا المعجبين بالثقافة الغربية والمتنكرين لثقافتهم وعرفوا بالذل والعمالة للمستعمر .[14] وكان لابن باديس أيضا الموقف الصريح في هذه القضية ورد على الذين طالبوا بالتجنس العام أنه يتعارض والشريعة الإسلامية ، وإن احتفظوا بقانونهم الإسلامي . فكانت هذه الفتاوى زلزالا كبيرا في وجه الداعين للتجنس أمثال ابن التهامي ، وفي نفس الوقت وقفت سدا منيعا أمام حركة التجنس ، كما أن البعد الآخر هو احتفاظ الجزائريين بالكيان الخاص بهم والبقاء على الانتماء الجزائري كأرض وعنوان سياسي لوطنيتهم .

ومن الإجماع الحاصل بين أبناء التيار الإصلاحي حول هذه القضية هو رفض التجنس تحت أي غطاء ، ومن خلال القبول الاجتماعي الواسع لهم ، والاحتكاك العريض مع أبناء المجتمع فقد لقي موقفهم من التجنس تقبلا لدى الشعب الجزائري ، وتطرق مستوى النقاش إلى مسألة الاعتزاز بوطن جزائري وارتباطهم به والعمل على إحيائه على غرار الأمم الأخرى .[15]

➢ الوطنية والاندماج

نعتقد أن التدافع السياسي في الثلاثينات من القرن العشرين بين القوى الوطنية أفضى إلى الحسم الصريح للإصلاحيين في هذه القضية والرد على الاندماجيين الذين أصروا على الاندماج التام في فرنسا ونكران الكيان الجزائري وكان رد التيار الإصلاحي عليهم : " إن هؤلاء المتكلمين باسم المسلمين الجزائريين والذين يصورون الرأي العام الإسلامي الجزائري بهذه الصورة إنما هم مخطئون ... فهم في واد والأمة في واد... لا يا سادتي نحن نتكلم باسم أغلبية الأمة ...فنقول لكم ولكل من يريد أن يسمعها إن أراد أن يعرف الحقائق ولا يختفي وراء أكام الخيال نقول لكم إننا فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا "[16] .

كما قال الدكتور سعد الله حول جمعية العلماء " حسبنا هنا أن ننبه إلى أن جمعية العلماء اهتمت بالإنسان فجعلته هو الهدف في كل تحركاتها خاطبت عقله بالعلم والإصلاح **والوطنية** وخاطبت عاطفته بالدين والخطابة والتاريخ[17]

إن هذا الكلام لا نهدف من ورائه الحديث عن محتوى التعليم ولكن عن منهج التأسيس لبناء الفرد عقليا وفكريا وتهذيبه [18] حتى يتم تربية ملكة التفكير السليم لدى الإنسان الجزائري ، ولعل اجتماع ما كان يكتبه ابن باديس وما كان يمارسه رجال الإصلاح عامة في مجال السياسة وضروب الوطنية والحوار مع مختلف الأطراف يخدم هذا التوجه.

➢ الوطنية والأجناس الأخرى

كان السعي إلى ترسيخ هذا التوجه الوطني بالموازاة مع ربطه بمحيطه العربي والإسلامي في ظل احترام عام للإنسانية حتى يكون الانتماء للوطن والاعتزاز به على غرار كل الشعوب مع احترام الأوطان الأخرى والتعامل معها. إن الرؤية المتدرجة عند ابن باديس من الوطن إلى بلاد العروبة فالدائرة الإسلامية فالإنسانية جعل لديه نظرة متكاملة . حيث أصدر في أول عدد من صحيفته المنتقد " ... إننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا ونحب من يحب الإنسانية

ويخدمها ونبغض من يبغضها ويظلمها وبالأحرى، نحب من يحب وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه [19] .

وقسم ابن باديس الوطنية في هذا السياق إلى الوطن الصغير " أهل البيت " وهم أولى بالحب في أول العمر، والوطن الكبير وهو الوطن ويشعر بحبه عندما يكبر وتتسع دائرة أفقه ، والوطن الأكبر وهي دائرة الإنسانية .

والناس عند ابن باديس أربعة أقسام : الأول : من لا يعرفون إلا وطنهم الصغير ويصفهم بأنهم أنانيون ولا ينتظر منهم خيرا لأقرب الناس منهم .

والثاني : الذين يعرفون وطنهم الكبير ويعملون في سبيله كل شيء ولو ألحق الضرر بالأمم الأخرى ويرغبون في التوسع في الملك ولا يردهم إلا القوة.

الثالث : وهم الذين ينكرون الوطن الكبير ولا يعرفون إلا الوطن الأكبر وأنكروا الوطنيات وأديانها وعَدُوها مُفرقَةً بين البشر ، وعاكسو الصيرورة البشرية .

الرابع: وهم الذين يعترفون بكل هذه الوطنيات بحيث يدرج الإنسان صورته وحبه وسعادته لبيته ووطنه الكبير ووطنه الأكبر ـ الإنسانية ـ وقال هذه هي الوطنية الإسلامية العادلة [20] التي تحافظ على الأسرة وعلى الأمة وتحترم الإنسانية.[21]

➢ كتابة التاريخ وتعزيز الوطنية :

وسعيا لبعث الوعي التاريخ الذي يساهم في إحياء الوطنية الجزائرية كانت هناك عدة أعمال تصب في هذا الاتجاه . ونعتقد أن أبا القاسم الحفناوي ساهم من خلال كتابه " تعريف الخلف برجال السلف " الذي ظهر في 1906 وأبرز فيه البعد الحضاري للجزائر ، وكان خطوة مبكرة لكتابات تاريخية وظفت لإعادة بعث الأمة الجزائرية وتبعه فيما بعد ثلة من النخبة الإصلاحية أمثال وتوفيق المدني [22] أو مبارك الميلي[23] أو عبد الرحمن الجيلالي ... .

واعتبر بن باديس أنه من مقومات الشخصية الجزائرية إعادة الاعتبار للوطن الجزائري من خلال تاريخه وأمجاده وانتصاراته وهزائمه ، وأن شرف الإنسان من شرف وطنه . قائلا : " إنما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل ، والنسبة للوطن

توجب عليهم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية والمحافظة على شرف اسمه وسمعة أبنائه فلا شرف من لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه ".

وجاء في جريدة المنتقد في مقال بعنوان " نكبات الأمة الجزائرية " أن الأمة الجزائرية ضاربة في التاريخ وليس كما يدعي البعض حديثة عهد بحلول النكبات وحثت الشباب على ضرورة الاطلاع على تاريخ الجزائر لإدراك هذه الحقيقة .[24]

➢ الهوية الوطنية واللغة

ولأهمية اللغة والثقافة المرتبطة بها في صياغة الشخصية فإنها كانت محل النضال لدى الكثير من القوميات المقهورة في جميع مراحل التاريخ لأن اللغة هي الوعاء لهذه الثقافة. ولذلك ركزت الحركة الإصلاحية على عنصر اللغة فاعتبر مبارك الميلي أن اللغة من العناصر الأساسية المكونة الوطنية وكذلك لغة القرآن ، وأنه لا يمكن لهم الرجوع لدينهم دون المحافظة على لغتهم ويقول في هذا الباب : " أيتها الأمة الجزائرية ارجعي إلى دينك ولغتك فلن تسعدي إلا به ، ولن تسعدي به إلا بإحكام لغته ...".25

كما حاول الاستعمار إضعاف اللغة تعليما وتداولا بين السكان وخاصة بمناطق القبائل ولذلك عززت الحركة الإصلاحية من نشاطها في هذا المناطق حتى لا تتعرض الوحدة اللغوية الوطنية والثقافية للضعف والاهتزاز وكانت الوسائل الموظفة لهذا المشروع التعليم للعربية وربطها بالإسلام ، وكشف أبعاد المشروع الاستعماري بالمنطقة. وكان رد فعل سكان هذه المناطق الانخراط في المشروع الإصلاحي وبرز فيه أعلام كثر بل هم عماد الهيكل الإصلاحي[26] وخاصة في الجمعية [27] .. وأسسوا أكثر من ثلاثين مدرسة بالقبائل لتعليم العربية والدين .

وفي معرض حديث ابن باديس عن مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية فإنه ربطها بالثلاثية المعروفة الإسلام واللغة والجزائر بحدودها المعروفة وأكد أن :" ألأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها ولغتها ودينها وتاريخها لا تعد أمة بين الأمم ولا ينظر إليها إلا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر والاندحار "

➢ **الخاتمة**

باعتبار أن الوطنية مصطلح له دلالات معنوية ولغوية وشعورية متشعبة ، فإن الكتابة حول هذا الموضوع يتطلب منا معالجته في سياقه التاريخي السياسي والاجتماعي وما ارتبط به من قضايا ومفاهيم لها علاقة بالشعور الوطني أو العناصر المؤثرة في بناء البعد الوطني .

رغم أن تبني فكرة الوطنية الجزائرية كانت قائمة كممارسة وكتابة وخطاب لدى زعماء المقاومات الشعبية أو الزعماء السياسيين منذ دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر .وانعكس هذا الأمر لدى النخبة السياسية والدينية في قناعاتها ومراسلاتها والنطاق الذي تناضل أو تقاوم من أجله ، فأن السلطة الاستعمارية كرست جمودها لغرس الرؤية الاستعمارية القائلة بأن هذه المنطقة ـ الجزائر ـ لم تكن إلا مكانا لتعاقب القوى الاستعمارية على مر التاريخ ، ونسي هؤلاء أن هذه القوى كلها عادت أدراجها بحكم النظرة التحررية الوطنية لسكان المنطقة .

إن بروز التيارات الوطنية المختلفة منذ مطلع القرن العشرين قد عزز هذا التوجه على مستوى شرائح واسعة ، وخاصة أن الصراع بين الاستعمار والجزائريين في هذه المرحلة قد أخذ طابعا سياسيا ثقافيا بامتياز . أي أن لغة المفاهيم المتعلقة بالوطنية أخذت أبعادا عميقة ومست شرائح واسعة ، وسُخرت لها وسائل متنوعة كالتعليم والصحافة والخطب والمساجد ..

وربما كانت المعاناة الاستعمارية وشظف الحياة وغياب أدنى ضروب الإنسانية في ظل الاستعمار قد ساهم في تعميق معاني الوطنية والتعلق بها والعمل لها .

كان التيار الإصلاحي الذي ظهر منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين المساهمة المعتبرة في بناء التراكم الثقافي والفكري والسياسي الذي يصب في خانة الانتماء الوطني لدى فئات واسعة من الطلبة والنخب وحتى عامة الناس .

تمكن التيار الإصلاحي من تبليغ رسالته الوطنية بحكم قربه من المجتمع والوسائل المتعددة من تعليم وصحافة ، ونادي ، واستغلال المناسبات الدينية ، والانتشار عبر ربوع الوطن ، والتنظيم الهيكلي والانتشار الوطني .

كان التيار الإصلاحي يدرك أن الوطنية ليست سعارا سياسيا يرفع في وجه الاستعمار ولكنها قناعات يتشبع بها الأفراد وفي مقدمتهم النخب المثقفة وهذا لا يكون إلا بطرح نقاش ثقافي وفكري وديني لقضية الوطنية وعلاقتها باللغة ،والجنسية ،والاندماج ، والولاء والبراء ....

كان الخطاب الموجه من قبل الحركة الإصلاحية يجمع بين البعد التاريخي ودوره في بناء الشعور الوطني والعمل على غرس المنظومة القيمية المتميزة للمجتمع الجزائري . وصولا إلى أن شرف الإنسان من شرف وطنه .

أعطى التيار الإصلاحي للوطنية بعدا نبيلا كان على الشعوب احترامه وهو أن الوطنية تقتضي احترام الأوطان الأخرى بل والإنسانية واعتبرها الوطن الأكبر . وفيه رسالة موجه للاستعمار الذي يسعى إلى تثبيت القومية والوطنية بين مواطنيه وخاصة زمن الأزمات الكبرى ، ولكنه لا يشرك الشعوب المستعمرة في حقها بهذا الشعور.

كانت معركة بناء المفاهيم الوطنية التي خاضها التيار الإصلاحي مشروع ديني وثقافي وسياسي أخذ الجهد الأكبر منه سواء من قبل أفراد أو مؤسساته . وله وجهتين الأولى نحو المجتمع والثانية في وجه الاستعمار .

أن الجهد المبذول على المستوى المحلي كان يوازيه نشاط دؤوب في الخارج بين أبناء الجالية الجزائرية في فرنسا أو عبر المنتديات السياسية والصحف في المشرق العربي [28]دفاعا عن الهوية الوطنية .[29] .

الهوامش :

[1] ـ ودان بوغفالة ، إشكالية هوية "التاريخ الوطني في الكتابات التاريخية الجزائرية "،أعمال الندوة العلمية الدولية حول كتابة التاريخ الوطني والتعريف به ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 .ص 284.

[2] ـ وهي الرؤية التي تبناها الدكتور سعيدوني ناصر الدين ، نفس المرجع السابق ، ص 285.

[3] ـ علي مراد ، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر. بحث في التاريخ الديني والسياسي من 1925 ـ 1940، ترجمة محمد يحياتن، 2007 ، دار الحكمة ، الجزائر، ص 481.

[4] ـ كان هذا الشعار في واجهة الجريدة للعدد الأول بتاريخ 11 ذي الحجة 1343هـ ، 02 جويلية 1925.

[5] ـ نفسه ، ص 1.

[6] ـ نفسه ، ص 2.

[7] ـ النخبة ، المنتقد بتاريخ 11 ذي الحجة 1343هـ ، 02 جويلية 1925

[8] ـ الهادي السنوسي الزاهري " واجبنا نحو الوطن " المنتقد ، عدد 02 ، 17 ذي الحجة 1343 هـ ، 09 جويلية 1925، دار الهدى ، 2012 ، ص 39.

[9] ـ بوصفصاف عبد الكريم ، "ماهية السياسة والوطنية في الفكر الباديسي " ، الشهاب ، العدد الثاني ، المجلد الأول ، صفر أفريل ـ 2003 ، 1424 هـ ، الجزائر، ص 17 .

10 ـ ابن باديس ، الآثار ، ج 3 ، تحقيق عمار طالبي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ص 352.

[11] ـ نفسه .

[1212] ـ محمد بن عابد الجيلالي ، تقويم الأخلاق ، ط1 ، مطبعة الجزائر ، ص 67ـ 68.

[13] ـ مولود قرين ، مرجع سابق ، ص 282.

[14] ـ نفسه ، ص 284.

[151515] ـ حول هذا الموضوع راجع :احمد مريوش ، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، دار هومة ، الجزائر ، 2012 ، ص 365.

[16] ـ علي مراد، مرجع سابق، ص 484.

[17] ـ نفسه ، ص 159.

[18] ـ عبد الحميد ابن باديس ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، ج4 ، ط1، 1985ـ 1406هـ ، ، دار البعث، الجزائر ، ص 47.

[19] ـ المنتقد بتاريخ 11 ذي الحجة 1343هـ ، 02 جويلية 1925. أنظر أيضا : أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، الجزائر، ص 135.

[20] ـ تركي رابح ، ابن باديس والشخصية الجزائرية ، الأصالة ، ع 2، المجلد الأول ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر ، 2001 ، ص 71.

[21] ـ عبد الكريم بوالصفصاف ، مرجع سابق ، ص 18 ـ 19 .

[22] ـ مولود قرين ، النخبة الجزائرية مواقفها الوطنية واهتماماتها العربية والإسلامية ، أطروحة دكتوراه ، المدرسة العليا للأساتذة ، إشراف الدكتور بن عدة عبد المجيد ، 2016ـ 2017 ، ص 358.

23 ـ ولد في 1880 بميلة ، درس على يد ابن باديس ، ثم انتقل إلى الزيتونة في 1919وتخرج منها بشهادة التطويع سنة 1922 ، اشتغل بالتعليم والصحافة ومن مؤسسي الجمعية ، ويهتم كثيرا بالأمور العقائدية .والكتابة التاريخية أنظر: أعمال الندوة الوطنية الحادية عشر حول الزيتونة ، الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي ، يومي 5 ـ 6 ماي 2002 ، منشورات المعهد الأغلى لتاريخ الحركة الوطنية ، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية ، عدد 11 ، تونس ، 2003 ص 40 ـ 41.

[24] ـ قرين مولود ، مرجع سابق ، ص 285.

[25] ـ نفسه ، ص 360.

[26] ـ برز عدد كبير من الأعلام الإصلاحيين بالقبائل نذكر منهم : السعيد بن زكري ن وارزقي الشرفاوي ، وأبو يعلى الزواوي ، والمولود الحافظي ، والفضيل الورتيلاني ، والهادي الزروقي ، والسعيد البهلولي ، ويحي حمودي الورتلاني ، وإسماعيل العربي وعبد الرحمان شيبان .... وغيرهم .للمزيد أنظر : سعيدوني ناصر الدين ، في الهوية والانتماء ، الحضاري ، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع ، ط 2013 ، الجزائر ، ص 192.

27 - بوصفصاف عبد الكريم " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وموقفها من ظهور الحركة البربرية في الجزائر " ، المجلة التاريخية المغربية ، ع 63 ، السنة 18 ، جويلية 1911 ، زغوان ، ص 243-251 .

[28] ـ للمزيد حول هذا الموضوع : راجع : عمر بوضربة ،" بعض مساعي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للتعريف بالقضية الجزائرية (جهود الورتيلاني والإبراهيمي) " ، أعمال الملتقى الوطني : البعد الثوري في نشاط الحركة الوطنية ، جامعة المسيلة ، 1 مارس 2016 ، ص 358.

[29] ـ تركي رابح، مرجع سابق، ص 72.

قائمة البيبليوغرافيا :

الكتب

1ـ ابن باديس عبد الحميد ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، ج4 ، ط1، 1985ـ 1406هـ ، ، دار البعث، الجزائر.

2 ـ بوضربة عمر ،" بعض مساعي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للتعريف بالقضية الجزائرية (جهود الورتيلاني والإبراهيمي) " ، أعمال الملتقى الوطني : البعد الثوري في نشاط الحركة الوطنية ، جامعة المسيلة

3 ـ الجيلالي محمد بن عابد ، تقويم الأخلاق ، ط1 ، مطبعة الجزائر.

4 ـ الخطيب أحمد ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، الجزائر.

5 ــ سعيدوني ناصر الدين ، في الهوية والانتماء ، الحضاري ، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع ، ط 2013 ، الجزائر .
6 ـ مراد علي ، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر. بحث في التاريخ الديني والسياسي من 1925 ـ 1940، ترجمة محمد يحياتن، 2007 ، دار الحكمة ، الجزائر.
7 ـ مريوش احمد ، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، دار هومة ، الجزائر.

المجلات

8 - بوصفصاف عبد الكريم " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وموقفها من ظهور الحركة البربرية في الجزائر " ، المجلة التاريخية المغربية ، ع 63 ، السنة 18 ، جويلية 1911 ، زغوان ، ص 243-251 .
9 ـ بوصفصاف عبد الكريم ، "ماهية السياسة والوطنية في الفكر الباديسي " ، الشهاب ، العدد الثاني ، المجلد الأول ، صفر أفريل ـ 2003 ، 1424 هـ ، الجزائر، ص 17 .
10 ــ تركي رابح ، ابن باديس والشخصية الجزائرية ، الأصالة ، ع 2، المجلد الأول ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر ، 2001 ، ص 71.
11 ـ الزاهري الهادي السنوسي " واجبنا نحو الوطن " 11 ـ المنتقد ، عدد 02 ، 17 ذي الحجة 1343 هـ ، 09 جويلية 1925، دار الهدى ، 2012 ، ص 39.
12 ــ المنتقد بتاريخ 11 ذي الحجة 1343هـ ، 02 جويلية 1925

الندوات

13 ـ بوغفالة ودان ، إشكالية هوية "التاريخ الوطني في الكتابات التاريخية الجزائرية "،أعمال الندوة العلمية الدولية حول كتابة التاريخ الوطني والتعريف به ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 .ص 284.
14 ــ أعمال الندوة الوطنية الحادية عشر حول الزيتونة ، الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي ، يومي 5 ـ 6 ماي 2002 ، منشورات المعهد الأغلى لتاريخ الحركة الوطنية ، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية

الرسائل الجامعية

15 ــ مولود قرين ، النخبة الجزائرية مواقفها الوطنية واهتماماتها العربية والإسلامية ، أطروحة دكتوراه ، المدرسة العليا للأساتذة ، إشراف الدكتور بن عدة عبد المجيد ، 2016ـ 2017 .